رحلة الامير محمد علي الاخيرة

اشرنا الى هذه الرحلة في مقتطف ابريل ووعدنا بتبيان ما لقيهُ الامير من التجلة والاكرام من الحكام والسكان ولاسيما من السوريين المهاجرين وما وصفهُ من انواع الحيوان والنبات والمشاهد الطبيعية وانجازاً لذلك نقول

اكرام الحكام لهُ

البلاد الاولى التي وصل اليها جمهورية الارجنتين فلم تكد الباخرة ترسو في مرفإها حتى اقبل تشريفاتي من قبل رئيس الجمهورية وموظف يمثل وزارة الخارجية والكرنيل الاول في السفارة البريطانية يهنئونهُ بسلامة الوصول ولما نزل الى البر رأى السر ملكوم رو برتسن وزير بريطانيا العظمى في سيارتهِ قد اتى لاستقبالهِ . وبعد ثلاثة ايام اتى هذا الوزير وسار معهُ لمقابلة رئيس الجمهورية قال « والرئيس طويل القامة يلوح عليهِ انهُ بلغ الخمسين من العمر فاجلسني على كنبه ، وجلس هو على كرسي بجانبي وكانت الغرفة التي دخلناها مكتبهُ الخاص وابدى لي بكل صداقة واخلاص عظيم اسفهِ لعدم توافر الوقت الكافي لعمل الترتيب اللازم لراحتي وتسهيل سياحتي وكان يريد ان يمدَّ لي قطاراً مخصوصاً يلحق به صالونهُ الخاص ولكن منعهُ من ذلك وجود الصالون في جهة بعيدة وليس من الممكن احضارهُ منها واعدادهُ عند سفرنا الى شلالات اجواز والخط الذي سنسافر بهِ الى هذه الشلالات ليس فيهِ عربة صالون للحكومة

والبلاد الثانية التي زارها برازيل فلما غادر الارجنتين اليها بسكة الحديد اعدت لهُ حكومة الارجنتين مركبة صالون قال انها تشبه عربة الصالون في سكة الحديد المصرية كأن الاثنتين من معمل واحد ، ورفاصاً لعبور الانهر . وحالما دخل بلاد برازيل وجد ان حكومتها ارسلت اليهِ صالوناً خاصاً ليسير بهِ ولتي في كل بلد مرَّ بهِ رجال الحكومة آتين لاستقبالهِ الى ان وصل الى العاصمة ريو دوجنيرو فلقي فيها مزيد الحفاوة والاكرام من رجال الحكومة وسفارة انكلترا ورجال المفوضية المصرية

احتفال السوريين بهِ

احتفل السوريون نزلاء الارجنتين بهِ احتفالاً كبيراً رجالاً ونساء فكانوا يرسلون اليهِ طاقات الازهار ودعوهُ الى ناديهم فجاء الدكتور صوايا رئيس النادي واثنان من اعضائهِ واخذوهُ بسيارتهم الى النادي فصدحت الموسيقى بالسلام الارجنتيني ثم بالسلام

المصري. قال « ولاحظت انهم فرحون بزيارة امير شرقي لهم كما انني كنت فرحاً بوجودي بين اقوام يتكلمون بلغتنا وهم اخواننا السوريون الاعزاء و بعد ذلك فُتح مقصف فاخر ولما كان الدكتور سوايا رئيساً للنادي القى خطاب ترحيب ثم قام محام سوري من يونس ايرز فالقى خطاباً باللغة الاسبانية فاجبت عليهما بالخطاب الآتي

«اخواني الكرام ابناء سورية ولبنان

« يسرني كثيراً ان اجد نفسي بين جمع عظيم من ابناء الشرق الذين تربطني بهم روابط اللغة والقومية وكثير من الشواهد التاريخية

«فبهذا السرور احييكم تحية صميمة تضم حنان الشرق لابنائه في وطنهم الجديد السعيد

« يحق لي ان اشكركم على هذه العواطف النبيلة المشرقة في وجوهكم والتي تجعلني اشعر من حرارة استقبالكم لي بلذيذ حرارة الشمس المنعشة في بلادنا الجميلة كما اتنسم من ترحيباتكم الزكية نسيم اعطار الشرق في رياضه الخلدية فاليكم اكرر ثنائي رمزاً لما يجول في خاطري من جزيل الشكر والثناء

« اسمحوا لي ان ابدي شديد اعجابي بابناء وطنكم الذين صادفتهم اينما حللت في سياحاتي العديدة حيث قابلوني بقلوب كلها ود ، كما اني اغبطكم على المزايا الفطرية التي تتجلى في حياتكم العملية بمواجهة الامم الناهضة في اقاصي المعمورة بصدق العزيمة وقوة الارادة ، وحسبي منكم هذا ان يكون شاهداً ناطقاً باستعداد ابناء الشرق لسنن سماء المدنية واستعادة مجد اسلافهم الصالحين بالعلم والعمل وفضائل الاخلاق . فليبارك الله فيكم لتهيئوا من الشرق شرف السمعة وكرم النهضة بين اسماع الغرب وانظاره

« وختاماً ارجو من الله عز وجل ان يوفق بينكم و بين ابناء الامة الارجنتينية الكريمة و يظللكم وايام بظل الاتحاد والمحبة لتشتركوا في الرقي بهذه البلاد الجميلة الى مستوى السعادة والسلام »

وبعد ذلك صعدنا الى الطابق الاعلى لرؤية غرف النادي وترتيبه ونظامه وحينئذٍ أخذ الشبان في الرقص على نغمات الموسيقى التي كانت تعزف ادوار التانجو وهي تشبه كثيراً الاغاني العربية ثم قامت احدى السيدات فغنت لنا باللغة الايطالية وتبعتها اختها فعزفت على البيانو ثم صاح الجميع طالبين شيئاً بالعربية فتقدم شخص وغنى ثم اخذت سيدة في توقيع نقاسيم و يشارف على البيانو من تركية وعربية فادخلت على القلب السرور حتى كأن الانسان من شدة الطرب يخور

ولقي مثل هذا الاحتفاء والاكرام من سوريي البرازيل في سفره فيها وفي عاصمتها وقد وصف احتفال سوريي العاصمة به في ناديهم قال « وفي الساعة الرابعة بعد ظهر ٢٧ يونيو جاء المسيو عقل الجر والمسيو حداد ليرافقاني الى النادي السوري المسمى «بالنادي الفينيقي» وكان في استقبالنا بالباب شافعي بك وناجي بك (من المفوضية المصرية) وبعض الوجهاء فصعدنا من السلم الذي كان مزيناً بالازهار والرياحين الى ردهة كبيرة وكانت قد صفت بها موائد صغيرة على احسن ترتيب واجمل نظام لتناول الشاي جلست حولها سيدات وفتيات جميلات رشيقات فصدحت الموسيقى بالسلام المصري. وبالطبع اخذ الحاضرون في التصفيق دلالة على الاستحسان والارتياح ثم قام المسيو عقل الجر رئيس النادي فألقى خطاباً بليغاً استرعى الاسماع هذا نصهُ

يا دولة الامير

« انَّ لكل شعب ارثاً من المفاخر يدلُّ به . ونسبةً يتباهى بالانتساب اليها . »

« والسوريون اللبنانيون والضاربون في صدر البسيطة والقائل فيهم شاعر النيل »

« رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا الى المجرة سلكبا صاعداً ركبوا »

« ما برحوا على ما بينهم وبين الشرق من شط المزار وامتداد الزمن يفاخرون »

« بشرقيتهم ولغتهم وهاتان النسبتان هما اللتان تستثيران عواطفنا اليوم للاحتفاء بدولتكم »

« ان التاريخ يا دولة الامير لاوثق راوٍ عما كان بين مصر وسورية ولبنان من »

« عريق الولاء فقد طالما اشترك القطران ليس في الدين والآداب والعادات فحسب بل »

« في الخدمة العامة الكبرى في تمدين الانسانية فمنذ ما كانت فينيقية تلقن اثينا الشريعة »

« والصناعات وتهبط لتخليد شعر هوميروس وفلسفة سقراط وافلاطون باستنباطها حروف »

« الهجاء كانت مصر تجود على رومة بالطب والكيمياء والفنون وهكذا تمَّ للقطرين »

« الشقيقين ان يبعثا نور العلم والمدنية من مشرق الشمس الى مغربها »

« وقد ظل العلم والمدنية حلقة الاتصال بين البلادين تضطرب حيناً وتنسق آخر »

« بمؤثرات الزمن حتى جاء عهد العباس الزاهر فازدادت القربى الروحية توثقاً بين الامتين »

« وفي ظله تمَّ ضفاف النيل ذلك الموكبُ اللامع من ادبائنا فعمل مع ادباء مصر الاعلام »

« على قدح زناد هذه النهضة الفكرية حتى اخذ الشرق يجني اليوم ثمارها

« على ان ذكر هذه النهضة يادولة الامير مقرون بذكركم وليس في المهاجر من »

« يجهل ان الامير محمداً كان على رأس تلك الكوكبة الباسلة وطالما وضعت يده أكاليل »
« النصر على مفارق ابطالها »

« فاذا كنا نحتفي بدولتكم فانما نحتفي بمجلى من مجالي مفاخرنا الشرقية ونفصح لمصر »
« عن عاطفة العرفان فتبرأ بعهد اخواننا المنعيشين سفح المقطم والنازلين في سواد الامة »
« المصرية نزول الماء من الراح. فلتحيا مصر وليحيا جلالة الملك فؤاد وليحيا دولة الامير »
« محمد علي »

ثم تلاه شقيقه حضرة شكر الله الجر نقاش بهذه القصيدة العصماء

سليل ملوك النيل اهلاً نكلنا ... نحن الى لقيا (الامير محمد)
طلعت علينا كالهلال وحوله [1] ... فراقد تزهو فرقداً جنب فرقد
كواكب للعلياء من مصر طلّع ... سوافر عن مجد طريف ومتلد
تجلى لنا في شخصك الشرق ماثلاً ... وما ضمّ من عزّ عريق وسؤدد
ولاحت لنا مصر بيرديك روضة ... لها من مياه النيل اعذب مورد
فاعظم بها في الشرق للفن دولة ... وللعلم نبراساً بها الشرق يهتدي
وللغة الفصحى وللفضل والنهى ... وللحق والآداب خير مؤيد

***

فتى مصر كم خلّفت في مصر من يد ... وكم لك في لبنان والشام من يد
وكم شفرت من فوق مفرق شاعر [2] ... بمنك اكليل الفخار المخلد
ملكتم سرير النيل حتى اذا ازدهى ... بكم مرعاً واديه سال بمسجد
ولم تنس للعباس عهداً مبلجاً ... به البشقت انوار فجر التجدد
وكم من ربوع الشام لاذ بعدله ... لدى الجور من حرّ اديب مشرد
فانزله من مصر منزل يوسف ... فبات على حال من العيش ارغد
الا ايها الضيف الذي ضاء بيننا ... كما ضاءت الوسطى بعقد منضد
اذا لم يكن غير اللسان موحداً ... يوحدنا اكرم به من موحد
وناهيك عن حق الجوار وما لنا ... هنالك من عهد الاخاء الموطد
على اليمن والترحاب ما قمت بيننا ... وفي ذمة الرحمن ان عدت في الغد

(١) اشارة الى من حوله من كاتمي سره ورجال الحفوضية المصرية (٢) اشارة الى توأس دولة الحفلة الاكرامية لخليل بك مطران

وبعد ذلك اجبت على هذين الخطابين بما يلي :

« حضرات السيدات والاخوان المحترمين ابناء سورية ولبنان »

« احييكم جميعاً واشكر الجالية الكريمة في ريو ده جانيرو شكراً وافراً على ما قدم »
« به نحوي من عظيم الترحيب المنبئ عما يخالج صدوركم من العواطف الكريمة التي »
« يسرني ان اشعر بانها موجهة في الواقع للمصريين في شخصي وسعر بة عن اصدق العلائق »
« بين البلدين . وما مصر وسورية الا شقيقتان تربطهما رابطة القومية واللغة وبفضل »
« تلك الرابطة والبقاء عليها كان لي الحظ اينما حللت في جنوب امريكا بان صادفت »
« كثيراً من ابناء العرب حتى في القرى الصغيرة فكان لنا من ذلك تسلية عظمى وفائدة »
« لا تنكر في بلاد نجهل لغتها »

« وكم زاد سروري واعجابي عند ما مررت بمدينة سانت پاول حيث تجلت لي »
« حالة السوريين واللبنانيين بما يدل على نشاطهم واجتهادهم وما احرزوه من مركز جدير »
« بالاحترام والاعجاب

« واني مع مزيد اعجابي بكم اهنئكم جميعاً على نجاحكم راجياً لكم دوام التقدم والرقي »
« بين اقرانكم الاجانب والتماند مع ابناء الامة البرازيلية الكريمة التي احفظ لها في »
« نفسي جميل الاثر من حسن الوفادة نحوي »

« ولا شك اني عائد الآن الى الشرق باحسن الخواطر واطيب البشائر عن ابنائه »
« المجدين في البلاد القاصية داعياً المولى عز وجل ان يهيئ منهم نفراً لامتهم في ضروب »
« العلم والمدنية بين الامم الاجنبية والسلام »

وبعد ان انتهيت من خطابي هذا دار الرقص على نغمات الموسيقى ثم اخذت فتاة سورية تغني بالايطالية وهي اول من حازت الجائزة الاولى من معهد « ريو » الموسيقي

وبعد أخذ صورتنا وتجاذب اطراف الحديث معهم والثناء على همتهم غادرت في الساعة السابعة مساء مضيفينا الاماجد الكرام الذين كانوا فرحين مسرورين

هذا ومما لاحظته في «ريو» ان ملابس كثيرات من السيدات كانت فاخرة تدل على حسن الذوق والاتقان ومن هذا تبين لي أن السوريين في البرازيل ممتعون بالثروة والرفاهية اكثر من اخوانهم سكان الارجنتين بالنسبة لطول اقامتهم في هذا البلد واشتغالهم بالاعمال التجارية